المَرأَةُ فِي فَلسَفَةِ الدِّينِ الإِسْلَامِيَّةِ: الكَرَامَةُ لَا التَّمَاثُلُ

د. مازن رسلان أبو ديّة[1]

ملخّص

هدفت هذه الدراسة إلى معالجة موضوع المرأة من زاوية الفكر الفلسفيّ الإسلاميّ، وقد عملت هذه الدراسة على بيان حقيقة مكانة المرأة في الإسلام.

بدأت هذه الدراسة بعرض تاريخيّ عن مكانة المرأة لدى الحضارات القديمة. لتعرض بعد ذلك لواقع المرأة في الغرب المعاصر، ودعوات تحرّر المرأة التي نشأت في القرن التاسع عشر.

ثم تناولت الدراسة قضيّة المرأة من منظار فلسفة الفكر الإسلاميّ، بادئةً بذكر تأثير الحركات النسويّة الغربيّة على مفكّري العالمين العربيّ والإسلاميّ، وتأثّر كثير منهم بنسويّات الغرب.

عملت هذه الدراسة على بيان مكانة المرأة في الإسلام وعدم تأخّرها عن الرّجل، استنادًا إلى مبدأ العدالة القرآنيّ، مميّزةً بين مبدأي العدالة والمساواة. ومن ثَمّ عملت الدراسة على إظهار قيمة المرأة باعتبارها تجلّيًا من تجلّيات الجمال والجلال الإلهيّين.

في الختام ردّت الدّراسة على شبهات أثارها المعارضون للإسلام بخصوص المرأة، من قَبيل قوامة الرّجال ومسألة الإرث.

الكلمات المفتاحية: الجنوسة، الجندر، العدالة، المساواة، التشابه، القوامة، الجمال، الجلال.

١ - أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانيّة، كلّيّة الآداب، قسم الفلسفة.

Woman in Islamic Philosophy of Religion:
Dignity, Not Sameness

Assist Prof. Mazen Raslan Abu Diya[1]

Abstract

This study aimed to address the topic of women from the perspective of Islamic philosophical thought, clarifying the true status of women in Islam. It began with a historical overview of the status of women in ancient civilizations. It then examined the reality of women in the contemporary West and the calls for women's liberation that arose in the nineteenth century.

The study then addressed the issue of women from the perspective of Islamic philosophy, beginning with the influence of Western feminist movements on thinkers in the Arab and Islamic worlds, and the impact of Western feminism on many of them. This study worked to demonstrate the status of women in Islam and their equality with men, based on the Quranic principle of justice, distinguishing between the principles of justice and equality. It then highlighted the value of women as a manifestation of divine beauty and majesty.

In conclusion, the study addressed objections raised by opponents of Islam regarding women, such as male guardianship and the issue of inheritance.

Keywords:

Homosexuality, Gender, Justice, Equality, Similarity, Guardianship, Beauty, Majesty.

1 - Assist Professor at the Lebanese University, Faculty of Arts, Department of Philosophy.

مقدّمة:

يتناول هذا البحث قضية المرأة من منظار فلسفة الدين الإسلاميّة، وتأتي أهميّة هذا البحث من أنّ قضيّة المرأة شـغلت المفكّرين والفلاسفة منذ العهود القديمة، ولا تزال القضيّة مطروحة إلى الآن، ولم يُحسـم الجدل بعد في حقيقة المرأة ومكانتها الإنسـانيّة والاجتماعيّة، باعتبارها كائنًا أنثويًّا مقابل الرّجل الذَّكَر.

يبيّن لنا المؤرّخون وعلماء الإناسة تقلّب مكانة المرأة الاجتماعيّة عبر العصور من التبعيّة إلى الهيمنة، مع الإشـارة إلى أنّ فترة هيمنة المرأة التي عُبّر عنها بالعصر الأمّيّ، كانت قصيرة نسـبيًّا مقارنة بفترات الهيمنة الذكوريّة. وانطلاقًا من هذا الأمر، برزت حركات عدّة داعية إلى تحرّر المرأة واستقلاليّتها عن الرّجل، باعتبارها كائنًا مساويًا له.

لم تكن النظرة إلى المرأة واحدة، فهي تختلف بين اتّجاهين: الاتّجاه الدينيّ والاتّجاه الوضعيّ، كما أنّها متعدّدة داخل كلّ اتّجاه. ومن هنا: ما هي مكانة المرأة في فلسـفة الدين الإسلاميّة؟ وما هـي علاقتها بالرّجل؟ وهل الاختلاف بينها وبين الرّجل اختلاف في المرتبة؟ أم في الطبيعة؟ أم في الوظيفة والدور؟

أوّلًا: المرأة في تاريخ الحضارات القديمة:

اختلفت النظرة إلى المرأة عبر التاريخ بين الشعوب والحضارات، كما أنّها كانت عرضة للتبدّل داخل الحضارة الواحدة، وفي البيئـة الاجتماعيّة الواحدة. فبناءً على مبادئ علم الاجتماع، فإنّ الجماعات لا تبقى سـاكنة، بل تتطوّر وتتبدّل أنماطها وصولًا إلى التغيير الشامل، وهذا ما أشار

إليه (أوغيس كونت-Auguste Comte) بمبحث الديناميكا الاجتماعيّة، وهو العلم «الذي يبحث في تطوّر الجماعات وتقدّمها».[١]

قد تأرجحت النظرة إلى المرأة بين اعتبارها كائنًا روحيًّا وبين اعتبارها جسدًا محضًا، وفي كثير من الأحيان جرى تشييء المرأة واعتبارها سلعة للبيع والشراء، ونُظر إليها أيضًا على أنّها جزء من أملاك الزوج.

١ ـ المرأة في الحضارة اليونانيّة:

لأنّه كان للأوروبيين أن يفخروا بإنجازات حضاريّة شهدتها أوروبا عبر تاريخها، فإنّ ما شهدته اليونان القديمة من معالم الحضارة ربما يكفي لذلك. فقد ترك اليونانيّون القدماء لأوروبا والبشريّة تراثًا فكريًّا كبيرًا، وهي تُعَدّ منشأ المذاهب الفلسفيّة، مع (سقراط - Socrates) على وجه الخصوص. ولكن هل كان لهذا التقدّم الحضاريّ في تلك الحقبة من الزمن انعكاس على واقع المرأة اليونانيّة؟

أجاب المؤرّخ الأميركيّ (وِيل ديورانت - Will.Durant) عن هذا السؤال بقوله: "من الأمور التي لا تقلّ دهشة الإنسان منها عن دهشته من أيّ شيء آخر في هذه الحضارة أنّها ازدهرت من غير أن يكون لها عون أو حافز من المرأة. لقد قام عصر الأبطال بفضل معونة النساء، بجلائل الأعمال... ثمّ اختفت النساء المتزوّجات من تاريخ اليونان بين ليلة وضحاها، كأنّ الأقدار أرادت أن تدحض حجّة القائلين بأنّ ثمّة ارتباطًا بين مستوى الحضارة في بلد ما ومركز المرأة فيه".[٢]

كانت المرأة في المجتمع اليونانيّ متشاركة مع العبيد في انحصار كلٍّ منهما في قطاعات خاصّة، فأماكن الخطاب السياسيّ العامّ كانت مقتصرة على الذكور وحدهم. وكان المنزل ميدان المرأة الوحيد، يُسمح لها فيه بالعمل والإنتاج، ولكن لا يُسمح لها بالخروج منه، ولذا ينبغي

١ - عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص ٣٦٢
٢ - ويل ديورانت: قصّة الحضارة، ج٢، ص ١١٧

بحسب المؤرّخ (ثيوكيديدس-Thucydides): «أن تحبس السيّدة المصون في البيت كما يُحبس جسمها»، وكذلك (زينوفان-Xenophanes) كان يوصي بوضع متاريس على أبواب الجناح الخاصّ بالمرأة داخل المنزل.[١]

على الرغم من أنّ ميدان المرأة اليونانيّة كان مقتصرًا على المنزل، فإنّها أسهمت بنصيب خاصّ في بناء الحضارة اليونانيّة، من خلال أدائها واجباتها المنزليّة، لا سيّما تربية الأطفال ونسج الصوف وحياكة الملابس لها ولأسرتها.

عبرّت الميثولوجيا اليونانيّة عن المرأة الضعيفة مقارنة بالذكر، وليست لها حقوق كثيرة حتّى وإن كانت إلهة. وقد ذكر التراث اليونانيّ صنفين من الإلهات:

أ. ليس على قدر كبير من الضعف، بل يحظى بنوع من الاحترام. وتوجد على وجه التحديد ثلاث إلهات: (أثينا-Athena)، (هيستيا-Hestia)، و(آرتميس-Artemis)، وهنّ عذارى رفضن الزواج من الخطّاب جميعهم، فكانت الأولى راعية الحرف، والثانية ربّة الموقد التي تحمي من يستجيرون بالموقد المقدّس، والثالثة ربّة الحيوانات الصغيرة التي تحمي الصغار من كلّ نوع، وحتّى المواليد من بني الإنسان.

ب. هذا الصنف في مجمع الآلهة تمثّله (أفروديت-Aphrodite)، التي كانت تُعتبَر رمزًا للجنس، وهي رمز لاستمرار الحياة عبر التناسل.[٢]

ما كان سائدًا في المجتمع اليونانيّ انعكس أيضًا على نظرة الفلاسفة للمرأة، وعلى سبيل المثال، (أفلاطون-Plato) كانت له نظرة تجاه المرأة متأثّرة بتقاليد المجتمع اليونانيّ وأعرافه. وهو إن كان في محاورة الجمهوريّة قد جعل للمرأة مكانة مع الرجال في طبقة الحرّاس، فإنّه نادى بشيوعيّة الأطفال والنّساء[٣]. ولدعوته بشيوعيّة الأطفال والنساء ارتباط بمفهوم الملكيّة الذي كان سائدًا آنذاك، والذي ينظر إلى النّساء والأطفال باعتبارهم ملكًا للرجل كأيّ ملكٍ ماديّ آخر. والهدف من دعوته إلى هذه الشيوعيّة «أن يقضي على إمكانيّة التملّك، تملّك الطبقة

١ - إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، ص ١٨

٢ - ويل ديورانت: قصّة الحضارة، ج٢، ص ٢٣ ـ ٢٤.

٣ - انظر: محاورة الجمهوريّة، ص ٢٥٥ وما بعدها.

الحاكمة؛ لأنّه يرى في شهوة التملّك أصل كلّ الشرور وأسباب الظلم والاستبداد والتعدّي والنزاع الطبقيّ».[١]

أمّا في فلسفة (أرسطو- Aristotle) فالنظرة إلى المرأة مرتبطة بنظريّته في الميتافيزيقا. وهو قد فسّر الاختلاف بين الرجل والمرأة انطلاقًا من مبدأ الهيراركيّة الذي يعتقد أنّه الحاكم في الطبيعة. فالكائنات كلّها في الكون متراتبة تراتبًا تصاعديًّا وتنازليًّا؛ إذ يكون الأدنى في خدمة الأعلى؛ فالنبات في خدمة الحيوان والإنسان، والحيوان في خدمة الإنسان. وبناءً على هذه الهيراركيّة كان من الطبيعيّ بنظر (أرسطو) وجود طبقة العبيد التي هي تابعة لطبقة الأسياد، ومن الطبيعيّ أيضًا أن تكون المرأة في مرتبة أدنى من الرجل.[٢]

مضافًا إلى مبدأ الهيراركيّة، أشار (أرسطو) إلى مبدأ الوظيفة، والذي يعني أنّ كلّ كائن له وظيفة خاصّة؛ فللجماد وظيفة، وكذلك النبات والحيوان وصولاً إلى الإنسان، مع الإشارة إلى أنّ وظيفة الإنسان لا تتحدّد في خدمة موجود أعلى، فهو يتقدّم على سائر الموجودات ويمتاز عنها بالعقل.

الكلمة اليونانيّة التي يستخدمها (أرسطو) عن الإنسان من حيث وظيفته هي (Anthropos) وتعني الموجود البشريّ. ولكنّ هذه الكلمة بالنسبة إلى (أرسطو) خاصّة بنوع واحد محدّد من الجنس البشريّ، وهو الرجل اليونانيّ الحُرّ، «لذا كانت فئة قليلة هي التي تشارك في ما يسمّيه بالفضائل البشريّة؛ لأنّ الفضائل في الواقع ليست واحدة، فالإنسان ليس واحدًا، بل هناك هيراركيّة في الفضائل تقابل هيراركيّة البشر التي رتّبها (أرسطو) على غرار البنية الاجتماعيّة القائمة في المجتمع اليونانيّ».[٣]

---

١ - جيروم غيث: أفلاطون، ص ١٥٤.

٢ - الهيراركيّة مشتقّة من اللاتينيّة (Hyerarchia)، وهي تعني التراتبيّة بين المفاهيم؛ إذ تشير إلى العلاقة بين سلسلة المفاهيم وارتباط المفاهيم ببعضها بعضًا، وعلى الصعيد الاجتماعيّ يعني تصنيف الناس لجهة المكانة والوظيفة وفقًا لمستويات تابعة لبعضها البعض، كلّ مستوى يتوافق مع درجة من السلطة والمسؤوليّة والكفاءة والكرامة... إلخ، أعلى من تلك الموجودة في المستوى الأدنى مباشرة. انظر: معجم لاروس (Larousse)، مادّة Hyérarchie.

٣ - إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، ص ٣٥.

عزّز (أرسطو) فكرته عن تفوّق الرجل على المرأة وتقدّمه عليه بالرتبة من خلال حديثه في البيولوجيا. فمن هذه الناحية يعتقد (أرسطو) أنّ مبرّر وجود الأنثى هو الإنجاب، وأنّ الأنثى «موجود يتّسم بالعجز والقصور، والدونيّة، والسلبيّة ـ ولذا ينبغي عليها الخضوع والاستسلام، أمّا الرجل فهو الإيجابيّ النشط، وهو الأعلى والأرقى...».[١]

٢ ـ المرأة في الفكرين اليهوديّ والمسيحيّ:

أ ـ المرأة في اليهوديّة:

من المعلوم أنّ التراث اليهوديّ ماديّ بطبيعته، حتّى إنّ اليد البشريّة تدخّلت في صياغة نصوص التوراة، ويعترف بهذا الكلام عدد من مؤرّخي اليهود. في هذا الإطار يقول المؤرّخ (بوتيرو- Bottéro): «خلال الفراغ الأدبيّ منذ اختراع الكتابة قبل قرابة ٣٠٠٠ سنة قبل عصرنا ـ لا تشكّل التوراة آداب إسرائيل، ولكنّها مجموعة نصوص مختارة ممّا كتبه بنو إسرائيل خلال الألف سنة الأولى من وجودهم بصفتهم مجموعة مستقلّة ذاتيًّا».[٢]

من نماذج الصبغة الماديّة للتوراة التعامل مع المرأة بصفتها كائنًا ماديًّا، فهذا النبيّ إبراهيم (عليه السلام) ـ بحسب نصوص التوراة ـ قد تخلّى عن زوجته خوفًا من الملك، مدّعيًا أنّها أخته، وقد ورد ذلك في [سفر التكوين ٧: ١٠ ـ ٢٠]، وفي السفر نفسه [٢٠: ١ ـ ١٨]، و[٢٦: ١، ٧ ـ ١١]، وقد حصلت الحادثة في المرّة الأولى في مصر، وفي المرّة الثانية في جرار أمام أبيملك.

في التراث التوراتيّ، المرأة مخلوق أدنى من الرجل، فأوّل امرأة، وهي حوّاء، خُلقت من ضلع آدم [سفر التكوين ٢: ١٨ ـ ٢٢]، وحوّاء أيضًا، في التراث اليهوديّ، هي رمز للغواية والشرّ، وقد حمّلها آدم مسؤوليّة الأكل من التفّاحة مع أنّ الله قد حرّم عليهما ذلك [سفر التكوين ٣: ٦ ـ ٨].

ورد في التراث التوراتيّ كلام صريح بأنّ وجود امرأة صالحة أمر صعب، كما في هذه الآية: «من ذا الذي يستطيع أن يعثر على امرأة فاضلة؟ إنّ ثمنها يفوق ثمن اللآلئ والياقوت» [سفر

١ - إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، ص ٥٧.
٢ - جان بوتيرو: ولادة إله (التوراة والمؤرّخ)، ص ١٨.

الأمثـال ٣١: ١٠]. ومن الواضح غلبة النزعة الذكوريّة على الـتراث الدينيّ اليهوديّ، فمن حقّ الرجل اليهوديّ أن يبيع ابنته أَمَةً لغيره، وقد ورد في التوراة: «إذا باع الرجل ابنته أَمَةً لا تخرج كما يخرج العبيد» [سفر الخروج ٢١: ٧].

ب ـ المرأة في المسيحيّة:

تأثّر الفكر المسيحيّ بالتراث اليهوديّ تأثّرًا كبيرًا، خصوصًا أنّ المسيحيّين يتّبعون العهد القديم والعهـد الجديد. وقد كان غالب التأثّر من خلال رسـائل (القدّيس بولـس)، الذي كان يهوديًّا، ودخل في المسيحيّة في مرحلة متأخّرة عن المسيح (عليه السلام)، حاملاً معه بعض ما ورثه من اليهوديّة. والجدير بالذّكر أنّ المسيحيّين يعتمدون في تعاليمهم الدينيّة على رسائل (بولس) أكثر من اعتمادهم على أيّ مصدر آخر من الإنجيل.

كان (بولس) الرسول متشدّدًا تجاه المرأة، ويمكن إجمال أفكاره في ثلاث أفكار رئيسة، هي:

- الرجل هو الوسـيط بـين الله تعالى والمرأة، ويظهر هذا من خلال دعوته النسـاء إلى وضع حجـاب الرأس، قائلاً: "إنّ الرجل لا ينبغي أن يغطّي رأسـه؛ لكونه صورة الله ومجده. أمّا المرأة فهي مجد الرجل... لهذا ينبغي أن يكون لها سـلطان على رأسها" [كورنثوس ١١: ٧ ـ ١٠]. كذلك ليس للمرأة الحقّ في المشاركة العامّة كما للرجال، حتّى ولو في الكنيسة، وفي ذلك يقول (بولس): "لتصمت نساؤكم في الكنائس. لكنّه ليـس مأذونًا لهنّ أن يتكلّمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا، لكن إذا كنّ أردن أن يتعلّمن شيئًا فليسألن رجالهنّ في البيت" [كورنثوس ١٤: ٣٤ ـ ٣٦].
- المرأة موجـودة ثانية، خُلقت لأجل الرجل، وفي هذا الإطـار يذهب (بولس) إلى أنّ الوضع الثانويّ للمرأة ينسجم مع الوضع العام للكون. "في الواقع أنّ القدّيس (بولس) كان يلخّص الوضع الاجتماعيّ، بل والوضع الاقتصاديّ للمرأة في عصره".[1]
- المرأة هي أصل الخطيئة، وقد بدأت هذه الفكـرة مع (بولس)، مردّدًا الفكرة اليهوديّة التي تقول: «إنّ المرأة هي أصل الغوايـة، وإنّها هي التي انحرفت بآدم، وأخرجته من

١ - إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحيّ والمرأة، ص ٥٢.

الجنّة عندما أطاعت الحيّة فأكلت من الشـجرة المحرّمة. ولم يكن هذا الخطأ مرتبطًا بحواء فقط، بل امتدّ إلى بناتها أيضًا، واسـتمرّ معهـنّ، فأصبحت المرأة دائمًا مصدر غواية للرجل».[١]

٣ـ المرأة في الغرب المعاصر:

لم يتغـيّر وضع المرأة إلّا في فترات متأخّـرة من هذا الزمن، فحتّى عهـد قريب كانت المرأة في الغرب محرومة من أبسـط الحقوق؛ فلم يكـن لديها في الولايات المتحدة مع بدايات القرن العشرين حقّ الانتخاب فضلاً عن الترشّح إلى المجالس التمثيليّة.

تجدر الإشـارة إلى أنّ التغيّر في أوضاع المرأة لا يعني بالضرورة الانتقال من وضع سـيّئ إلى وضع أفضل للمرأة. وفي ظلّ الحديث عن واقع المرأة المسـلمة ومكانتها في الإسلام، والغمز من قناة الإسـلام على اعتبار أنّه دين فيه ظلم للمـرأة وانتقاص من مكانتها، لا بدّ من بيان الواقع الذي وصلت إليه المرأة في الغرب.

نتيجةً للواقع السـيّئ للمرأة الغربيّة، برزت الحاجة إلى انتفاضة النّسـاء والمطالبة بحقوقهنّ والعمـل على تحصيلها. وفي هذا الإطار بدأ الحراك النسـويّ المطالب بتحـرّر المرأة بدءًا من القرن التاسـع عشر الميلاديّ، وهذا الحراك سُمّي بالمذهب النسويّ (Feminism). وقد أُطلق هذا المصطلح "على الفكر المؤيّد لحقوق النّساء، والداعي لتحريرهنّ من القمع الذي تمارسه عليهنّ السلطة الذكوريّة... ويتضمّن الاصطلاح تعريف النّساء مقموعات بصورة دائمة ومنتظمة، وأنّ علاقة الجنوسة[٢] ليست ثابتة ولا يصحّ أن تُدرج في الاختلافات الطبيعيّة بين الجنسين، كما يتضمّن المصطلح الالتزام السياسيّ بتغيير أوضاعهنّ نحو الأفضل".[٣]

أخذ المذهب النسـويّ طابعًا عامًّا، وهو المطالبة بحقوق النسـاء، ولكنّه تجاوز ذلك بكثير؛

---

١ - إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحيّ والمرأة، ص ٥٤.

٢ - يُسـتخدم مصطلح الجنوسـة كتعريب للمصطلح الأجنبيّ (Gendre)، وقد عرّبه البعض باسـتخدام كلمة الجندر؛ وهذا المصطلح أعمّ من الذكورة والأنوثة.

٣ - خديجة العزيزي: الأسس الفلسفية للفكر النسويّ، ص ١٧.

لتخرج الحركات النسويّة في دعواتها عن القيم الطبيعيّة والإنسانيّة والدينيّة. وعلى سبيل المثال، الحركة النسويّة الراديكاليّة التي نشأت في حدود عام ١٩٦٠ للميلاد، وقامت على فكرة أنّ النساء مقموعات من الذكور باعتبارهنّ إناثًا، وأنّ نظام الجنوسة الذي يصنّف وفقه الناس وحتّى الأشياء والسلوك، تمييزًا بين الذكورة والأنوثة، هو بناء اجتماعيّ، ولا علاقة له بالفروق الطبيعيّة بين الجنسين.[١]

مضافًا إلى الحركة النسويّة الراديكاليّة، برزت الحركة النسويّة السحاقيّة التي انبثقت في أميركا الشماليّة بين عامَي ١٩٦٠ و١٩٧٠ للميلاد. وقد ركّزت هذه الحركة، مثل الحركة الراديكاليّة، على نظام الجنس، وطوّرت نقدًا منفردًا عن الزواج المتغاير، وعن التغاير الجنسيّ الإلزاميّ ومصدره، واعتبرت هذا التغاير نتاج مؤسّسات سائدة وممارسات أيديولوجيّة مستبدّة.[٢]

خرجت هذه الحركة عن الفطرة، ورفضت القانون الإلهيّ الذي ينصّ على وجود الجنسين (الذكر ـ الأنثى) لدى كلّ الكائنات.

إلى جانب هذه المذاهب النسويّة، برزت فلسفات نسويّة تنتقد الفلسفات الذكوريّة، أي التي تنظر إلى المرأة من منظار الذكوريّة، وعلى رأس هذه الفلسفات الجديدة (سيمون دي بوفوار- Simone de Beauvoir)، من فلاسفة القرن العشرين. وقد لاحظت (دي بوفوار) أنّه إذا لم تعد توجد أنوثة، فالسبب أنّها لم تكن موجودة من قبل. وقد انتقدت عقلانيّة عصر الأنوار التي تعتبر أنّ مصطلح المرأة فارغ من أيّ محتوى[٣]. كما انتقدت (دي بوفوار) الفلسفة الأرسطيّة التي تجعل بحكم الطبيعة من الأنثى كائنًا أدنى من الذكر، ناقلة عن (أرسطو) قوله: «الأنثى هي أنثى نتيجة افتقارها لسمات معيّنة».[٤]

اعتبرت (دي بوفوار) أنّ الأديان تكرّس التسلّط الذكوريّ، قائلة: «إنّ الأديان التي صاغها

---

١ - خديجة العزيزي: الأسس الفلسفية للفكر النسويّ، ص ٢٥.

٢ - خديجة العزيزي: الأسس الفلسفية للفكر النسويّ، ص ٢٧.

3 - Simone de Beauvoir: Le deuxième sexe، p 17 ..

4 - Simone de Beauvoir: Le deuxième sexe، p 18 .

الرجال تعكس هذه الرغبة في الهيمنة».[١]

من ناحية بيولوجيّة واجتماعيّة، ترى (دي بوفوار) أنّ الأمّ من خلال تجربتها العمليّة في الحياة الزوجيّة تؤكّد وجودها في حضرة الرجل بوصفه شكلاً من أشكال الحريّة. وبذلك يستطيع الرجل أن يقنع نفسه بأنّه لم تعد توجد هرميّة اجتماعيّة بين الجنسين، وأنّ المرأة مساوية للرجل.[٢]

ثانيًا: المرأة في الفكر الدينيّ الإسلاميّ:

١ ـ أثر الحركات النسويّة الغربيّة على العالمين العربيّ والإسلاميّ:

أدّت حركات التحرّر النسـويّة في الغرب إلى حصول كثير من التفلّت والخروج عن القيم، مضافًا إلى التفكّك الأسريّ، وذلك كلّه تحت عنوان الحُريّة الفرديّة؛ فتعرّي النساء حريّة فرديّة، وتعـدّد العلاقات الجنسـيّة حريّة فرديّة، وكذلك الشـذوذ الجنسيّ حريّة فرديّة تحت مسـمّى المثليّة.

كان للحضـارة الغربيّـة المعاصرة، الماديّـة بطبيعتها، أثرها على العالم الإسـلاميّ؛ إذ برزت دعـوات تحرّر المرأة على غـرار ما حصل في أوروبـا والغرب، وكلّ ذلك تحـت تأثير الهيمنة الأوروبيّة والغربيّة على بلادنا العربيّة والإسـلاميّة. وقد انبهر كثير من مفكّرينا بالحضارة الغربيّة المعاصرة، ما دفع بعضهم إلى حدّ رفض التراث كاملاً لصالح القيم الغربيّة المعاصرة.

من بين هؤلاء، على سـبيل المثال، الكاتب المصريّ (قاسـم أمين) الذي كتب عن انحطاط المرأة في مـصر، ودعا إلى تحرّر المرأة واتّباع النموذج الغربيّ؛ وقـد عبّر عن انبهاره بالحضارة الغربيّـة المعاصرة ووضـع المرأة الغربيّة في ظلّهـا قائلاً: "أمّا في البلاد التـي ارتقت إلى درجة عظيمة من التمدّن فإنّا نرى النساء أخذن يرتفعن شيئًا فشيئًا من الانحطاط السابق، وصرن يقطعن المسافات التي كانت تبعدهنّ عن الرجال: هذه تحبو، وتلك تخطو، وهذه تمشي، وتلك تعدو، ذلك كلّه بحسب الجمعيّة التي تنتسب إليها ودرجة المدنيّة فيها".[٣]

---

1 - Simone de Beauvoir: Le deuxième sexe، p 24 .

2 - Simone de Beauvoir: Le deuxième sexe، p 28.

٣ - قاسم أمين: تحرير المرأة، ص ١٠ ـ ١١.

في هذا الإطار حمّل كثيرون مسؤوليّة واقع المرأة السيّئ في بعض المجتمعات إلى المنظومة الفكريّة الإسلاميّة، وعلى سبيل المثال الكاتبة المهتمّة بالنسويّة (نوال السعداوي)، التي كانت من دعاة تحرّر المرأة، وكانت لها أفكار جريئة وخارجة عن المألوف، ومن هذه الأفكار ما تدّعيه (السعداوي) من أنَّ الإنسان قبل ظهور الأديان كان يعيش وحدة متكاملة، وأنّه «لم يكن هناك انفصال بين جسم الإنسان وعقله أو نفسه، لم تكن الأديان قد ظهرت بعد وفصلت بين الحلال والحرام، ولم يكن علم الفلسفة قد ظهر بعد، وظهر معه الفلاسفة الذين فصلوا بين الجسم والعقل».[٤]

إنْ لم تكن (السعداوي) قد ألقت بالمسؤوليّة المباشرة على الدين، فإنّها قد حمّلت المسؤوليّة للقراءة الذكوريّة لنصوص الدين، رافضة أنْ يكون الاستنباط من النصوص حكرًا على الرجال ـ الفقهاء على وجه الخصوص ـ، مدّعيّة أنَّ لها الحقّ في أنْ تجتهد في فهم النصوص الدينيّة، حتّى إنْ أخطأت فإنّه يكفيها أجر الاجتهاد.[٥]

في هذا الإطار لا بدّ من التعليق على دعوى (السعداوي)، التي كانت في الأصل طبيبة، متسائلين: هل يحقّ لغير الطبيب البحث في مجال الطبّ والاجتهاد في مسائله على قاعدة أنَّه يكفيه أجر اجتهاده؟

٢ ـ المرأة في الفكر الإسلاميّ:

في إطار الحملة التي تُشنّ على الدين من قِبل التيّارات العلمانيّة، لا سيّما على الدين الإسلاميّ، في إطار الحرب الناعمة، وخلق حالة سُمّيت بالحرب الناعمة. هذه الحملة التي تشمل ما يخصّ المنظومة الدينيّة كلّها، ومنها ما يتعلّق بالمرأة ومكانتها الاجتماعيّة، لا بدّ من أن نبيّن حقيقة المرأة في فلسفة الدين الإسلاميّ، وموقعيّة المرأة مقابل الرجل، وبيان ما إذا كانت المنظومة الإسلاميّة تعطي الأولويّة للرجل على المرأة؟

٤ - نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص ١٥٤.
٥ - نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربيّة، ص ٢١٠.

٣ ـ المرأة في ضوء العدالة القرآنيّة:

يجـد المدقّق في الخطاب القرآنيّ أنّ هذا الخطاب تارةً موجّهًـا إلى النبيّ الأكرم ﷺ، وتارةً أخرى موجّهًا إلى الناس بعمومهم، أو إلى خصوص المؤمنين. والملاحظ أنّ الخطاب موجّه إلى الإنسان بوصفه كائنًا أعمّ من الذكر والأنثى، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين: ٤]؛ ففي هذه الآية إشـارة إلى أنّ الله -تعالى- خلق الإنسان متوازنًا، ومستقيمًا، ولائقًا من جميع الجوانب الجسـميّة والروحيّة والعقليّة، وهو الأكثر تكاملاً في الاسـتعدادات والطاقات، ما يعطيه قابليّة الترقّي في سـلّم الكمال[١]. وممّا يُسـتدلّ عليه من هذه الآية أنّ قابليّة الترقّي في سـلّم الكمال شـاملة للرّجل والمرأة، وهناك عدد من النسـاء اللـواتي ارتقين وبلغن الكمال الإنسـانيّ، مثل (آسيا) زوجة الفرعون، و(مريم بنت عمران) عليها السلام، و(فاطمة بنت محمّد) عليها السلام. وقولـه تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾ [الإسراء: ٧٠]؛ فالتكريم في هذه الآية عامّ للإنسان، وهو ليس مختصًّا بالمؤمنين، بل يشمل الكافرين والمشركين، وكذلك ليس مختصًّا بالرجال من دون غيرهم. والتكريم لبني آدم "بما خصّهم الله به من بين سائر الموجودات الكونيّة، وهو الذي يمتازون به من غيرهم، وهو العقل الذي يعرفون به الحقّ من الباطل والخير من الشرّ والنّافع من الضارّ".[٢]

إنَّ الخطاب القرآنيّ موجّه إلى الإنسانيّة التي تمثّل النوع الأرقى من بين أنواع الحيوانات، وهي السمة الذاتيّة المشتركة بين أفراد الإنسان كلّهم، سواء كانوا عربًا أم أعاجم، سودًا أم بيضًا، رجالاً أم نساءً؛ «فالرّجل والمرأة كلاهما إنسانان، وفي حين أنّهما يختلفان من ناحية الذّكورة والأنوثة، ولكن لا يوجد فرق بينهما من الناحية الإنسـانيّة؛ لأنّ كلّ فرد من أفراد البشر ـ أعمّ من الرّجل أو المرأة ـ يشترك في إيجاده بالتناسل فردان هما الذّكر والأنثى».[٣]

العقـل هو أبرز الأشـياء اشـتراكًا بين الرّجـال والنّسـاء، ولا أفضليّة للرجـال في ذلك على

---

١ - ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٢٠، ص ٣٠٨.
٢ - محمد حسين الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص ٨٢.
٣ - محمد حسين الطبطبائي: المرأة في الإسلام، ص ٣٢.

النّســاء، وليس هناك ما يــدلّ على التفوّق العقليّ للرّجال على النّســاء. وتوجــد كثير من الأدلّة على التســاوي في القدرات العقليّة من الحياة اليوميّة المعاشــة، فنجد المرأة الطّبيبة والمهندسة والباحثة والمدرّســة، وهذا ما يدلّ على أنّ هذه الأمور ليست حكرًا على الرّجال. ولكن بالعودة إلى الأصل القــرآنيّ، نتناول القضيّة من زاوية التكليف؛ فالتكليــف الذي يعني الالتزام بالأوامر الإلهيّة والانتهاء عن نواهيه، خاصّ بالإنســان فقط من دون سائر الكائنات، لاختصاصه بالعقل ولامتلاكه الاســتعداد والملكات المؤهّلة لتقبّل التكليــف، وفي هذا الإطار جاء التعبير القرآني: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَــانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا**﴾ [الأحــزاب: ٧٢]. والأمانة في هذه الآية هي «الولاية الإلهيّة وكمال صفة العبوديّة، إنّما تتحصّل بالعلم بالله والعمل الصالح الذي هو العدل».[١]

كلّف الله -تعالى- الإنســان باعتباره كائنًا واعيًا وقادرًا على تحمّل مســؤوليّة التكليف، وذلك لقوله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًــا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ فالإنســان مكلّــف بما في مقدوره ووســعه. والتكليف ليس منحــصرًا بالجانب الفرديّ المتمثّــل بعلاقة الإنســان بالله تعالى، من خــلال العبادات الواجبة كالصــلاة والصوم والحجّ، بــل يتعدّاها إلى الجانــب الاجتماعيّ، وبهذا يكون تكليف الإنســان بالحفاظ على الاســتقرار الاجتماعــيّ. وعليــه، «لا يقتصر التكليف في الإســلام على أداء الفروض العباديّــة، إنّما ترتبط أحكامه كلّها بالمصالح العُليا للإنسان، وهي غير مقطوعة عن الأفق الإنسانيّ».[٢]

إذا مــا عدنا إلى الآيــات التي تتمحور حــول التكليف الإلهيّ للإنســان في الجوانب الفرديّة والاجتماعيّة، نجد أنّ التكليف شاملٌ للذكر والأنثى، فالرّجل مكلّف بالصلاة والصوم، وكذلك المــرأة، وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليســت مقتصرة على الرّجال. وانطلاقًا من هذا المبدأ، إذا كان للرجال تفوّق على النســاء وأفضليّة، فكيف يكون الرجل والمرأة متساويين في التكاليف؟ ألا يكون ذلك بخلاف العدل الإلهيّ؟

١ - محمد حسين الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص ١٨٦.
٢ - عبد الأمير كاظم زاهد: نظريّة التكليف في التصوّر القرآنيّ.

في هذا الإطار لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الرسالة الإسلاميّة تمتاز بعدم التمييز بين الجنسين، وذلك بخلاف ما كان سائدًا عند المشركين في الجزيرة العربيّة الذين كانوا يميّزون بين الذكور والإناث، فقد كانوا، مثلاً، يحرّمون أجنّة الحيوانات التي تخرج حيّة على النّساء، والتي تخرج ميتة يشتركون فيها مع الرجال، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ**﴾ [الأنعام: ١٣].

المرأة والرّجل شريكان في التكليف، وبما أنّ التكليف ليس عبثيًّا، لاستحالته على الله الحكيم، فإنّ المرأة والرّجل شريكان في نتائج هذا التكليف، التي هي إمّا الحصول على رضوان الله -تعالى- ونعيم الجنان، وإمّا الحصول على سخط الله -تعالى- وعذاب الجحيم؛ فالجنّة بنعيمها ليست حكرًا على الرّجال. وبناءً عليه، من الحكمة أن نعلم أنّ مقياس التفاضل بين الرّجل والمرأة لا ينبغي أن يكون دنيويًّا، بل لا بدّ من أن يكون أخرويًّا. ويدلّ على ذلك مبدأ العدل الإلهيّ الذي ينصّ على أن يثيب المكلِّف المكلَّف على التزامه بالتكليف، وأن يعاقبه على عدم التزامه بالتكليف، وبما أنّ الإنسان لا يُثاب على كلّ ما يفعله من خير مباشرة في حياته الدّنيا، وكذلك لا يُعاقب على كلّ ما يفعله مباشرة، ولذلك لا بدّ من أن يكون هناك عالم آخر بعد الموت يثاب فيه الإنسان أو يُعاقب.

بناءً على ما سبق، فإنّ مقياس التفاضل بين الرجل والمرأة هو التقوى، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣].

٤- المرأة والرجل (عدالة أم مساواة؟):

مع بروز الدعوات المعاصرة إلى المساواة بين الرّجل والمرأة، وتأثّر المجتمعات العربيّة والإسلاميّة بهذه الدعوات، وتحميل الإسلام مسؤوليّة تكريس الهيمنة الذكوريّة وعدم تحقيق المساواة بين المرأة والرجل. لا بدّ من معالجة مسألة العدالة والمساواة من الناحية الفلسفيّة، وبيان هل العدالة والمساواة بوصفهما مفهومين متطابقين؟

هناك تداخل بين مصطلحي العدالة والمساواة، فالعدالة تتأسّس على المساواة، وفي تعريف

العدالة أنَّها: "التوسّط بين الإفراط والتفريط، وأساسها المساواة، وجوهرها الاعتدال والتوازن". ولكن، بالرغم من هذا التداخل، هناك تمايز بين المصطلحين من حيث الحدّ، فليست المساواة كلّها عدلاً؛ فالتساوي في العقوبة مع اختلاف حدّة الجرم ليس عدلاً، والتساوي في العطاء مع اختلاف قيمة العمل ليس عدلاً.[١]

انطلاقًا من هذا الأمر، لا يميّز كثير من دعاة تحرّر المرأة بين العدالة والمساواة، وهم إنّما يدعون غالبًا إلى المساواة والتشبّه بين المرأة والرجل، مع أنَّه لا يمكننا إنكار وجود تمايز بين المرأة والرجل لجهة القدرات والإمكانات، مع العلم أنَّ هذا التمايز لا يعني أفضليّة أحدهما على الآخر. ولذا، لا يجوز لنا الحكم على أفضليّة لجهة التمايز في الإمكانات، بل مدار الحكم بالتفضيل هو مدى قيام كلّ طرف بدوره المناسب لإمكاناته على أفضل وجه. والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فعدم قدرة المرأة على القيام بالمهامّ التي تحتاج قوّة بدنيّة لا يُعدّ ضعفًا ولا فشلاً للمرأة، وكذلك عدم نجاح الرجل في أعباء التربية الأسريّة لجهة العناية بالأطفال، لا يُعدّ ضعفًا للرجل.

بناءً عليه، فإنَّ المطلوب ليس التشابه بين المرأة والرجل، بل تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات، والمساواة في الاستفادة من الفرص المتاحة، وهذا هو عين العدل. ولذا نتّفق مع الشهيد (مرتضى المطهّري) في قوله: «إنَّ عدم تشابه حقوق الرجل والمرأة في الحدود التي جاء فيها تكوينهما على نحو غير متشابه، يتطابق على نحو أفضل مع العدالة، ويضمن السعادة الأسريّة على نحو أحسن، ويتقدّم بالمجتمع إلى الأمام بصورة أفضل أيضًا».[٢]

المعيار في الحكم على الرجل والمرأة يتمثّل في مدى قيام كلّ منهما بوظيفته، وبالنتائج المترتّبة على ذلك دنيويًّا وأخرويًّا، فإنّ عملاً خيراً أو شرًّا كان لذلك انعكاس عليهما معًا، ولا أفضليّة لأحدهما على الآخر، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾ [النساء: ٣٢].

١ - عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص ٥٢٢.
٢ - مرتضى المطهّري: نظام حقوق المرأة في الإسلام، ص ١٢١.

٥ ـ المرأة بين الجمال والجلال:

الجمال والجلال بحسب فهم العرفاء هما تجلّيان من تجلّيات الوجود، وهذا التجلّي يكون في الكائنات بدرجات متفاوتة، وأجلى مراتبه في الإنسان الكامل بتعبير (محيي الدين بن عربي)، وفي رئيس المدينة الفاضلة عند (الفارابي)، وفي الإمام المعصوم عند الشيعة الإماميّة.

إنَّ الله -تعالى- في التّراث العرفانيّ هو الجمال والجلال المطلقان، وكلّ جمال وجلال في هذا الكون هو انعكاس للجمال والجلال الإلهيّ؛ ويظهر مدى انعكاسهما في الكائن بقدر استعداداته وإمكاناته، وهو ما يمكن أن نشبّهه بنور الشمس، فكلّما كانت الستائر مفتوحة أكثر، كان انعكاس نور الشمس أقوى.

الجلال بتعريف (الإمام الخميني) هو "نعوت القهر من الحضرة الإلهيّة التي يكون عندها الوجود"[١]، أي هو عبارة عن صفة الكبرياء والمجد والسّناء. أمّا الجمال فهو «تجليّ الحقّ بصفات اللطف والرّحمة، وكلّ جمال فيه جلال وكلّ جلال فيه جمال».[٢]

يتجلّى الجلال والجمال في الإنسان الكامل، ولكن إلى أيّ مدى يحصل هذا التجلّي عند المرأة؟ وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «عقول النّساء في جمالهنّ وجمال الرّجال في عقولهنّ».[٣]

في كلّ كائن من الكائنات مظهر من مظاهر اسم الله تعالى، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه»[٤]. وفي كلّ كائن ـ حتّى الجماد ـ يتجلّى الجمال الإلهيّ، وتتفاوت النسبة بين الكائنات، والدليل على ذلك من القرآن الكريم، الذي ينصّ على وجود الحسن في كلّ ما خلقه الله تعالى، لقوله: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**﴾ [السجدة: ٧]. والجمال موجود أيضًا في الأرض، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الكهف: ٧]. وكذلك في السّماء، لقوله تعالى:

---

١ - نبيل أمهز: مصطلح العرفاء، ص ٧٥.
٢ - نبيل أمهز: مصطلح العرفاء، ص ٧٦.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٠، ص ٢٢٤، ح٥.
٤ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

لا فـرق بين ذكر وأنثى في تجلّيات الجلال والجـمال الإلهيّين؛ ففي خصوص الجمال، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «التجمّل من أخلاق المؤمنين»[١]. ولا فرق في ذلك بين الجنسين؛ فالإيمان صفة عامّة للرجال والنّسـاء. وبناءً على ذلك، يجـب تأويل الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عقول النّساء في جمالهنّ وجمال الرّجال في عقولهم»، ويمكننا من هذا الحديث «فهم المعنى الأمريّ وليس المعنى الوصفيّ، أي لا يكون المقصود من الحديث الشّريف وصف صنفـين من النّاس، وأنّ عقل المرأة محصور في جمالها، حيث يكون في هذا جنبة ذمّ... بل قد يكون معنى ذلك هو أمر أو وصف بنّاء وليس وصفَ قدحٍ وذمٍّ، أي أنّ المرأة مكلّفة، أو تستطيع إظهار عقلها وفكرها الإنسانيّ في ظرافة العاطفة وجمال الكلام والسّلوك وكيفيّة المحاورة».[٢]

لا تختلف المرأة عن الرّجل في أصلها، كي تختلف في المرتبة والدرجة؛ فأصل الرّجل والمرأة واحـد، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَـاءً﴾ [النّساء: ١]. والمراد من النفس في هذه الآية ـ على ما يرى (الجوادي الآملي) ـ الجوهر والذات والأسـاس، وليس الروح، فليس المراد أنّ الله خلق الرّجل والمرأة من روح واحدة، بل من أصل واحد.[٣]

٦ ـ شبهات عن صورة المرأة في القرآن الكريم:

استند كثير من الذين حاربوا الإسلام، وعابوا عليه نظرته إلى المرأة، إلى عدد من الآيات القرآنيّة التي حملوها على ظاهرها، من دون التمحيص فيها لتبيّن حقيقة مرادها. من بين هذه الآيات آية القوامة التي يقول فيها تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَـاءِ بِمَـا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. وقد استغلّ المعترضون على الإسلام ظاهر هذه الآيات

١ - محمدي الريشهري: ميزان الحكمة، ج٢، ص ٥٤٨، ح٢٥١٠.
٢ - عبد الله جوادي الآملي: جمال المرأة وجلالها، ص ١٧ ـ ١٨.
٣ - عبد الله جوادي الآملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٢٥.

للادّعـاء بأنّ المرأة في النظرة القرآنيّة أقلّ رتبة مـن الرجل، ولكن في حقيقة الأمر، فإنّ هذه الآية تشير إلى مسألة قوامة الرّجل نتيجة الخصائص والملكات التي يمتاز بها عن المرأة، ولا تشير إلى مسألة الرتبة والدّرجة. ومن ناحية أخرى، إذا كان الرّجل فاقدًا للملكات التي تخوّله القيام بدور القوامة، فإنّ قوامته تسـقط. وعلّة قوامة الرّجل هي تغلّب ملكة التعقّل عنده على ملكة العاطفة، وذلك بعكس المرأة التي تغلب عندها ملكة العاطفة والرقّة.

من القضايا التي أثيرت فيها الشُّبهات، قضيّة تعدّد الزوجات، وقد ذهب بعض الملحدين إلى أنَّ تعدّد الزوجات هو من ابتكار رسول الله محمّد ﷺ، وذلك تحقيقًا لرغباته الجنسيّة، ولذلك جاء التشريع للمؤمنين ليبيح لهم الزواج بأربع نساء، بينما أباح للنبيّ أكثر من ذلك، لقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَـهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأحزاب: ٥٠].

في هذا الإطار، نشير إلى أنَّ مسألة تعدّد الزوجات كانت موجودة في مجتمعات سابقة للإسلام، وقد أشـار (ويل ديورانت) إلى هذه المسألة معلّلاً الأمر بقوله: "لا شكَّ أنَّ تعدّد الزوجات لاءم حاجة المجتمع البدائيّ في ذلك الصدد أتمَّ ملاءمة؛ لأنَّ النّساء فيه يزددن عددًا على الرّجال، وقد كان لتعدّد الزوجات فضل في تحسين النّسل أعظم من فضل الزواج من واحدة".[١]

يرى الشهيد (المطهّري) أنَّ مسألة تعدّد الزوجات ليست إهانة للمرأة، ولا انتقاصًا من مكانتها، بل هو حقٌّ لها، «والسبب المؤثّر ـ على طول التاريخ ـ لاعتبار تعدّد الزوجات حقًّا للمرأة، وواجبًا على الرّجل هو الزيادة النسبيّة في عدد النّساء المؤهّلات للزواج على عدد الرّجال المؤهّلين».[٢]

من المسـائل الأخرى التي أُثيرت فيها الشُّـبهات، مسـألة ميراث المـرأة؛ إذ تحكم الشّريعة الإسـلاميّة بأنَّ ميراث المـرأة نصف ميراث الرّجل، لقوله تعـالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**

١ - ويل ديورانت: قصّة الحضارة، ج١، ص٧١.
٢ - مرتضى المطهّري: نظام حقوق المرأة في الإسلام، ص٣٠١.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. وقد اعتبر البعض أنَّ في هذا الحكم ظلمًا للمرأة، والصّحيح عدم وجود ظلم للمرأة في هذا الحكم ولا هضم لحقوقها. وإذا كان الهضم لحقوق المرأة يحصل في كثير من المجتمعات، فإنَّ ذلك يعود إلى التطبيق لا إلى أصل الحكم. وفي هذا الإطار، يغيب عن ذهن المعترضين على هذا الحكم أنَّ على الرّجل واجب الإنفاق على زوجته حتّى ولو كانت موسرة، أمّا المرأة فليس عليها واجب الإنفاق على زوجها وإن كان معسِرًا.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي عملت على بيان مكانة المرأة في فلسفة الفكر الإسلاميّ، مُجريةً مقارنةً مع الأديان والثقافات الأخرى، يمكننا ذكر بعض الاستنتاجات الآتية:

١. المرأة صنو الرّجل في الإنسانيّة والإيمان، ولا أفضليّة للرّجل فيهما، وقد ذكر القرآن نماذج نسويّة تقدّمت على الرّجال كـ (آسيا) زوجة الفرعون، و(مريم بنت عمران) عليهما السلام.
٢. لا تقوم الأفضليّة بين الرّجل والمرأة على أساس جنسيّ، ولا على كون الرّجل مخلوقًا أعلى من المرأة، بل معيار الأفضليّة هو التقوى.
٣. المطلوب هو العدالة بين المرأة والرّجل، وليس المشابهة. والتّساوي بين الرّجل والمرأة لا يعني أن تقوم المرأة مقام الرّجل، ولا أن يقوم الرّجل مقام المرأة، والمرأة والرّجل، مع الاختلاف في طبيعة كلّ منهما، لكنّهما متساويان في الكرامة.

قائمة المصادر والمراجع:

- Simone de Beauvoir: Le deuxième sexe، Paris، édition Gallimard، ١٩٤٩.
- الشريف الرضي: نهج البلاغة، منشورات سفارة الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، لا ت.
- إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
- إمام عبد الفتاح إمام: أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، لا ت.
- إمام عبد الفتاح إمام: الفيلسوف المسيحيّ والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
- بوتيرو: ولادة إله (التوراة والمؤرّخ)، دار الحصاد للنّشر، سورية، ط١، ١٩٩٩.
- جيروم غيث: أفلاطون، منشورات الجامعة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٨٢.
- خديجة العزيزي: الأسس الفلسفية للفكر النسويّ، دار بيسان، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- عبد الأمير كاظم زاهد: نظريّة التكليف في التصوّر القرآنيّ، موقع مجلة نصوص معاصرة.
- عبد الله جوادي الآملي: جمال المرأة وجلالها، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
- عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠.
- قاسم أمين: تحرير المرأة، المكتبة الشرقيّة، بيروت، الطبعة الثانية، لات.
- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
- محمد حسين الطبطبائي: المرأة في الإسلام، تعريب (محمد مرادي)، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- محمد حسين الطبطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
- محمدي الريشهري: ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ٢٠٠٠.
- مرتضى المطهّري: نظام حقوق المرأة في الإسـلام، الدار الإسلاميّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، نسخة إلكترونيّة، مكتبة الشّيعة.
- نبيل أمهز: مصطلح العرفاء، دار المحجّة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.

- نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ١٩٩٥.
- نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربيّة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧.
- ويل ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت، لات.
- أفلاطون: محاورة الجمهوريّة، ترجمة حنا خباز، دار الرافدين، بغداد، الطبعة الرابعة، ٢٠٢٥.